سوريون من أجل الحقيقة والعدالة

Syrians For Truth & Justice

هاني الزيتاني

# جانب من حياة معتقل ناجٍ

## قصّة الناجي "هاني الزيتاني"

www.stj-sy.org

## حول المنظّمة:

"سوريون من أجل الحقيقة والعدالة" هي منظمة سورية مستقلة، غير حكومية وغير ربحية. تضمّ العديد من المدافعين والمدافعات عن حقوق الإنسان من السوريين والسوريات على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم، كما تضمّ في فريقها المؤسس أكاديميين من جنسيات أخرى.

**تعمل المنظمة من أجل (سوريا) التي يتمتع فيها جميع المواطنين والمواطنات بالكرامة والعدالة وحقوق الإنسان المتساوية.**

سوريون من أجل الحقيقة والعدالة

Syrians For Truth & Justice

## تقديم:

كان الالتحاق بجامعة دمشق –قسم علم الإجتماع- بداية لتأسيس مرحلة جديدة من حياة هاني وخاصّة على صعيد الوعي بمسائل الحياة المجتمعية وتشكّل مفاهيم الدولة وأشكال الحكم والسلطة وغيرها من القضايا، خاصة وأنّه شهد في تلك الفترة تحديداً-كما شهد السوريون جميعاً- على شاشة التلفاز "الآلية السريعة" لتبديل بعض بنود الدستور تسهيلاً لانتقال مقاليد الحكم من الأب إلى الابن.

أمّا من الناحية المهنية فقد كان لمرادفة "المجتمع المدني" التي قرأ عنها هاني في أدبيات علم الاجتماع أثراً كبيراً في تحديد نشاطاته اللاحقة، حيث أصبح عضواً في المركز السوري للإعلام وحرية التعبير الذي أنجز معه دراستين ميدانيتين حول أداء الإعلام السوري خلال فترتي الانتخابات التشريعية "انتخابات مجلس الشعب في سوريا" والاستفتاء الرئاسي(2007)، واللتان كانتا بمثابة الانطلاقة الحقيقية لحياته العملية ونشاطه المهني في الدفاع عن حقوق الانسان وحريته في الرأي والتعبير، ولكنهما-أي الدراستين- أيضاً تسببتا له في "متاعب" مع الأجهزة الأمنية التي استدعته مرات عديدة للتحقيق والاستجواب.

بتاريخ 16 شباط 2012 تمّت مداهمة مقر المركز السوري للإعلام وحرّية التعبير الكائن في قلب العاصمة دمشق من قبل دورية تابعة لفرع المخابرات الجوية (فرع التحقيق في مطار المزّة العسكري) حيث اقتحم مجموعة من العناصر المسلحة بلباسها المدني مقر المركز بطريقة غير مألوفة لدى هاني وزملاؤه في المركز بعد أن أغلقوا جميع الشوارع والمعابر المؤدية إلى المركز بعرباتهم وآلياتهم حيث بدأت آنذاك رحلة هاني في الاعتقال والتي استمرت من ثلاث سنوات ونصف انتقل فيها بين عدّة أفرع أمنية وأماكن احتجاز سريّة أخرى مثل المخابرات الجوية و"إيداع عقوبات في الفرقة الرابعة" في دمشق والشرطة العسكرية وسجن عدرا وسجن السويداء وفرع أمن الدولة "إدارة المخابرات العامّة".

وبتاريخ 15 تموز 2015 وتحديداً منتصف الليل سمع هاني صوتاً من خارج الغرفة يقول:
"هاني الزيتاني... إخلاء سبيل" ... وصف هاني تلك اللحظات كما يلي:

**"لم أصدق بداية ولكن عندما خرجت وجدت أحد عناصر شرطة السجن واقفاً على باب الغرفة، سألني عن اسمي ثم فتح لي الباب وطلب مني الخروج لاستلام هويتي الشخصية وأغراضي الأخرى والتوقيع على حضور جلسة محاكمة أمام "محكمة مكافحة الإرهاب" كانت مقررة بتاريخ 30آب 2015 لأجد نفسي بعد نحو ثلاثة أعوام ونصف وأكثر من 20 جلسة للمحاكمة خارج سور السجن حراً طليقاً.**

## حياة هاني الزيتاني

## من هو "هاني الزيتاني"وكيف يصف حياته العامة ونشاطه المهني قبل الاعتقال؟

من الناحية التعليمية كانت حياتي تشبه إلى حد ما حياة الكثير من السوريين الذين ارتادوا مدارس الدولة في سوريا، ولدتُ في بيئة شامية ودرست منذ الصغر في ذات المدارس "المؤدلجة" بمناهج الحزب الحاكم ونشاط منظماته بدءاً من "طلائع البعث" مروراً في "شبيبة الثورة" وصولاً إلى "اتحاد الطلبة".

كان دخولي الجامعة في العشرين من عمري بداية لتأسيس مرحلة جديدة من حياتي على صعيد الوعي بمسائل الحياة المجتمعية وتشكل مفاهيم الدولة وأشكال الحكم والسلطة القائدة للمجتمع،خاصة وأنني شهدت في هذا العمر كما شهد السوريون على شاشة التلفاز آنذاك الآلية السريعة لتبديل بعض بنود الدستور تسهيلاً لانتقال مقاليد الحكم.

هذه الحادثة كانت عاملاً من عوامل أخرى دفعتني لاختيار "علم الاجتماع" كفرعأكاديميأكمل فيه مسيرتي الجامعية حيث بدأ الاهتمام بالمشكلات التي يفرزها المجتمع السوري يأخذ طابعاً تخصصياً، توجهتُ بداية للاطلاع على الآراء الفلسفية والنظريات الاجتماعية ذات الصلة بالتعاقد الاجتماعي وأشكال العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم ضمن إطار واقع شكلت ملاحظاتي حوله فكرة أن مجتمعنا السوري يمثل بيئة خصبة للدراسة والبحث. فكان أن انصب اهتمامي خلال الفترة الجامعية حول الأدوات التقنية اللازمة لذلك، حيث تمكنت من دراسة الإحصاء لأهميته في تصميم وتنفيذ الدراسات الميدانية، كما أوليت مناهج البحث العلمي وطرائقه اهتماماً خاصاً.

ومن الناحية المهنية كانت لمرادفة "المجتمع المدني"التي قرأت عنها في أدبيات علم الاجتماع أثراً كبيراً في تحديد نشاطاتي اللاحقة، حيث تعرفت بداية العام 2007 على الناشط الحقوقي "مازن درويش" الذي كان يدير من سوريا واحدة من منظمات المجتمع المدني المعدودة على أصابع اليد في تلك الفترة. لم يكن العمل المدني آنذاك مرخصاً من قبل السلطة السورية إلا أن حاجتي لخلق دور فاعل في الحياة المجتمعية وإحساسي بأهمية ربط معارفي النظرية بأطرها التطبيقية دفعا بي لأكون عضواً في المركز السوري للإعلام وحرية التعبير الذي أنجزت معه أول دراستين ميدانيتين حول أداء الإعلام السوري خلال فترتي الانتخابات التشريعية "انتخابات مجلس الشعب في سوريا" والاستفتاء الرئاسي في العام 2007 واللتان كانتا بمثابة الانطلاقة الحقيقية لحياتي العملية ونشاطي المهني في الدفاع عن حقوق الانسان وحريته في الرأي والتعبير.

استمر عملي مع المركز حتى بداية العام 2012 وتحديداً بتاريخ السادس عشر من شباط يوم اعتقالي، وقبل هذا التاريخ تعرضت مع زملائي في العمل إلى جملة من المضايقات التي تمثلت بعدد من الاستدعاءات الأمنية والاستجوابات المتكررة حول طبيعة عملنا والدراسات التي نقوم بنشرها وأحياناً منعنا من مزاولة بعض النشاطات إلى أن قررت السلطة إغلاق مقر العمل مع نهاية العام 2009 (من قبل بلدية حيّ المزة) حيث توجهّت بعدها إلى أداء "الخدمة العسكرية الإلزامية" وانقطعت عن العمل المدني وذلك حتى نهاية خدمتي في العام 2011 عندها عدّت لمزاولة نشاطي المهني حيث أعددت مع المركز السوري للإعلام وحرّية التعبير عدد من الدراسات والتقارير الخاصة بالانتهاكات الواقعة على الإعلام والإعلاميين وكان ذلك عقب انطلاقة الثورة السورية.

## رحلة الاعتقال بدأت عملياً مع اقتحام مقر عمل المركز السوري للإعلام وحرّية التعبير، فكيف جرت مداهمة المركز وماهي الانطباعات التي تشكلت لديك أثناءها؟

بتاريخ 16 شباط 2012 تمّت مداهمة مقر عمل المركز السوري للإعلام وحرّية التعبير الكائن في قلب العاصمة دمشق من قبل دورية تابعة لفرع المخابرات الجوية (فرع التحقيق في مطار المزّة العسكري) حيث اقتحمت مجموعة من العناصر المسلحة بلباسها المدني مقر المركز بطريقة غير مألوفة لديّ بعد أن أغلقوا جميع الشوارع والمعابر المؤدية إلى المركز بعرباتهم وآلياتهم، كنت أتابع وأسمع عن طرق المداهمة ولكن لم يصدف قبلاً أن شاهدتها بأم العين. لقد أحدثوا حالة من الذعر لدى العاملين في المركز. لم يقوموا بالتعريف عن أنفسهم في البداية حيث وقف السلاح المرفوع على رؤوسنا حاجزاً، كان يبدو كما لو أنهم يداهمون إحدى الخلايا الإرهابية لكن نوعاً من الاندهاش بدا على ملامح المسؤول عن فريق المداهمة عندما رأى مجموعة من الفتيات والشباب الجالسين في مكاتبهم ويعملون من خلف حواسيبهم فبدؤوا بالسؤال عن طبيعة العمل الذي نقوم به وما شابه من أسئلة تدل ظاهرياً على عدم معرفتهم بالمكان والأشخاص الذين قاموا بمداهمتهم. استمر وجود العناصر في المركز حوالي الساعتين ريثما حصلوا على أمر باعتقالنا واحضار حافلة كبيرة لنقلنا إلى مقر الفرع، أخبرونا حينها أنهم يرغبون باستكمال أسئلتهم والتعرف على عمل المركز وبأنهم لن يستغرقوا مدة تزيد عن النصف ساعة (فنجان قهوة بحسب تعبيرهم).

## "هاني الزيتاني" في حافلة تنقله إلى مقر فرع المخابرات الجوية داخل مطار المزّة العسكري. حبذا لو تحدثنا عن الطريقة التي تم استقبالك فيها وعن الظروف التي رافقت إجراءات التحقيق!

بعد وصولنا إلى الفرع وبقائنا في الحافلة حوالي النصف ساعة جاء أحد العناصر المسلحة وطلب منّا (الذكور أولاً) أن ننزل واحداً تلو الآخر لنقوم بتسليم أغراضنا الشخصية في مكان يدعى (الأمانات) وكلما خرج شخص من هذا المكان المليء بالرفوف والشبيه بالمستودع كان يقوم عنصر آخر بوضع عصبة على عينه تدعى "الطماشة" وتكبيل يديه إلى الخلف بواسطة "الكلبشة" ثم اقتياده إلى غرفة تدعى "الجماعية" كان يبدو أن القائمين على السجن أفرغوها خصيصاً لنا وذلك ليعزلونا وليمنعوا تواصلنا مع بقية المعتقلين، وعلى باب هذه الغرفة وقبل دخولنا إليها كان يقوم عنصر ثالث بتجريدنا من جميع ملابسنا وتفتيشنا تفتيشاً كاملاً بما في ذلك أجسادنا من خلال إجبارنا على القيام بحركتي قرفصاء للتأكد من عدم إخفائنا لمواد مخدرة أو ممنوعة في أماكن حساسة من جسمنا، وهي حركة لازمتنا في كل مرة ندخل فيها لأيّ من أماكن الاحتجاز في السجون السورية...

في اليوم الأول من تواجدنا داخل هذه الغرفة كنّا تسعة أشخاص ومنذ لحظة إدخالنا إليها انقطعت جميع الأخبار عن مصير زميلاتنا اللواتي تم احتجازهن معنا لنعلم بعد تسعة أشهر من إخفائنا القسري أنهن خرجن سالمات.

في اليوم الثاني تم استدعاؤنا للتحقيق، لم أتعرض يومها لأيّ من أنواع الإساءة أو التعذيب إذ غالباً ما يتم اللجوء إلى هذا الأسلوب أثناء الاستجواب لهدف انتزاع معلومات من المعتقل أو إجباره على الاعتراف بقيامه بفعل ما قد لا يكون ضالعاً فيه بشكل مباشر أو دفعه للاعتراف على أحد من معارفه وأصدقائه أو حتى إلصاق تهمة به... كنت مؤمناً أن ما أقوم به ليس جرماً يستوجب العقاب ولم أكن لأخجل من إخفاء عملي المدني في الدفاع عن حقوق الانسان وحريته في الرأي والتعبير وهو ما دفعني لأكون واضحاً حول نشاطي وطبيعة عملي مع المركز. استمر التحقيق الأولي معي لأكثر من ساعة أثار فيها الضابط المحقق أسئلة كثيرة تخص المسائل المتعلقة بالعمل وآرائي بالثورة والحراك السلمي، ثم أمر أحد العناصر بإعادتي إلى "الجماعية".

في اليوم التالي جاء أحد العناصر وأخرج من الغرفة "مدير المركز" وواحداً من الأشخاص المتواجدين معنا، كان زائراً في المركز لحظة مداهمته وتم اقتياده معنا أثناء الاعتقال. لم يعودا بعدها (علمت لاحقاً أنهم أفرجوا عن الزائر بينما قاموا بتقييد مدير المركز وعصب عينيه ووضعه في الممر الخارجي حيث استمر على هذه الحال مدة شهرين وهي فترة تواجده بالفرع قبل أن ينقل إلى مكان آخر)، ثم بعد نحو ساعتين أو أكثر طلبنا مجدداً للتحقيق نحن السبعة أشخاص المتبقين لكن هذه المرة عصبوا عينيّ وقيدوا يديّ إلى الخلف، أخذني العنصر إلى مكتب مختلف عن المكتب الذي تم استجوابي فيه المرة الأولى وإلى محقق آخر كان يبدو أنه برتبة أعلى ومكتبه خارج بناء التحقيق، لم يستمر التحقيق معي لأكثر من عشر دقائق أراد بها المحقق أن يستكمل استجوابه ببعض التفاصيل الخاصة بعملي في المركز وعندما سألته عن المدة التي سنقضيها أجابني بأن لديه شكوكاً تثار حول طبيعة عملنا وبأن إجراءات التحقيق لا تزال مستمرة، وبعدها أعادني العنصر مجدداً إلى الغرفة التي بقينا فيها ثلاثة أيام أخرى قبل أن يتم نقلنا نحن السبعة إلى مكان أقل مساحة وأكثر ضيقاً يدعى "المزدوجة" وهي عبارة عن غرفة طولها بحدود المترين وعرضها حوالي متر ونصف كان ينبغي علينا أن نتناوب على النوم فيها طوال فترة

تواجدنا بداخلها، وكان ينبغي علينا في كل مرة يريد بها السجّان أن يدخل الطعام إلينا أو يخاطبنا أن نقف ووجوهنا إلى الحائط (بعض العناصر كان يتجاوز في ذلك ويبدي مرونة أكثر في التعامل معنا)، كنا نخرج مرتين في اليوم إلى الحمّامات وكان لزاماً علينا أن نخرج مسرعين مجردين من ملابسنا إلا من القطعة الداخلية الواحد تلو الآخر وأحياناً كنا نطالب بأن ندخل لقضاء حاجتنا ونخرج بمدة لا تتجاوز العشر ثواني.

بقينا على هذه الحال قرابة الشهر، لم يطلب أيّ منا للتحقيق معه مجدداً كما كنا نلقى صدّاً في كل مرة نحاول فيها السؤال أو الاستفسار.

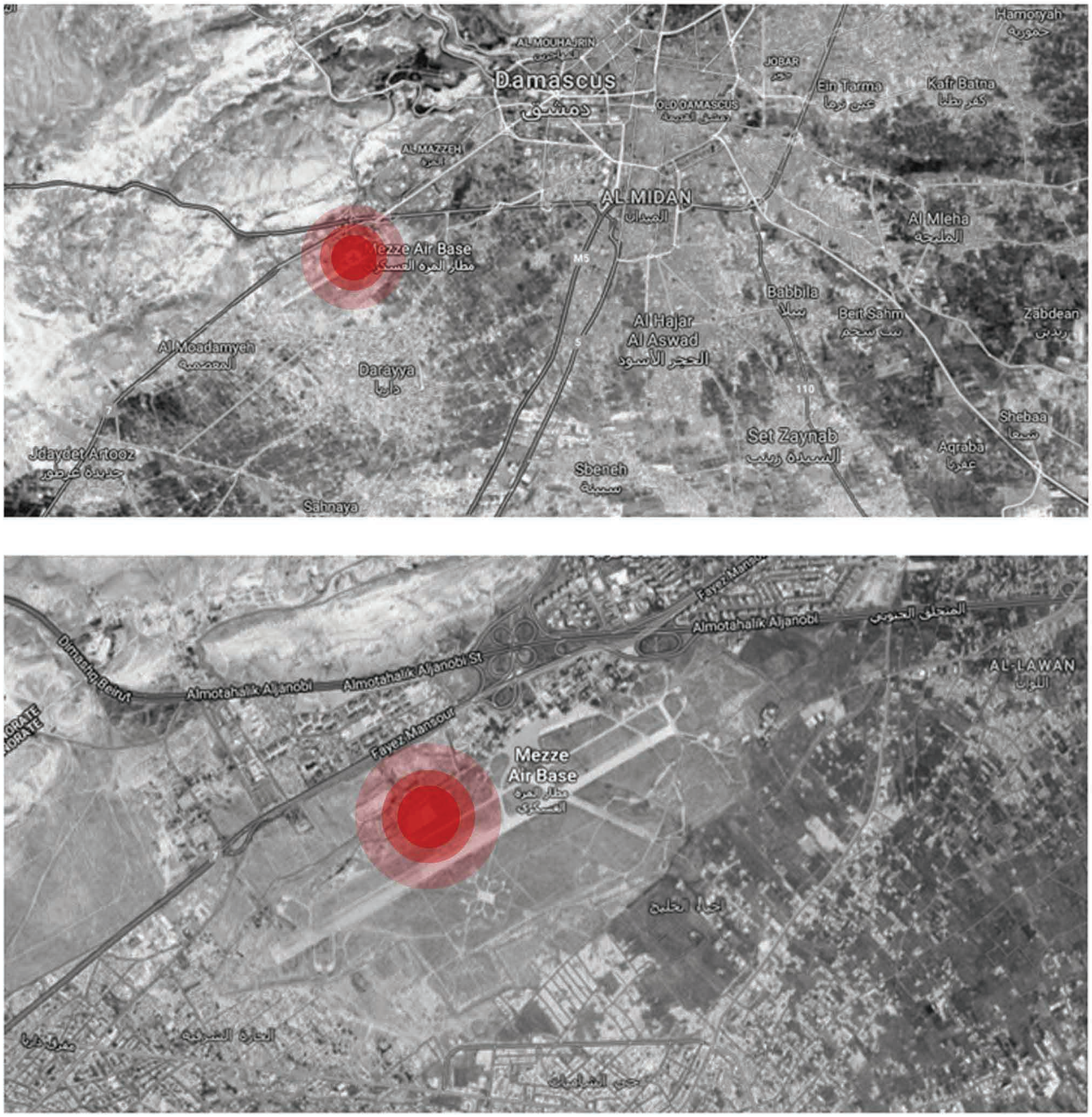


فرع التحقيق - المخابرات الجويّة في مطار المزة العسكري في دمشق (صورة قمر صناعي).

## الإضراب عن الطعام!

في اليوم الثامن والعشرين لوجودنا داخل الفرع نفذت مع زملائي إضراباً عن الطعام احتجاجاً على احتجازنا القسري طالبنا من خلاله بالإفراج الفوري عنا أو إحالتنا إلى القضاء المختص للنظر في قضيتنا، في البداية لاقت فكرة الإضراب عن الطعام استهجان العناصر كما لو أنهم لم يألفوا هذا النوع من الاحتجاج حتى أن أحدهم تهكم قائلاً: "أنتو وين مفكرين حالكم بسجن عدرا ابقوا إذا تحولتوا لهونيك عملوا إضراب هون ماحدا رح يسمع عنكم" كما قام عنصر آخر بأخذ الماء المتوافر لدينا طالباً بسخرية أن نضرب عن شرب المياه أيضاً حتى نعفيهم من مهمة إخراجنا إلى الحمامات ليعيد بعد ذلك الماء إلينا ناصحاً إيّانا أن نتراجع عن هذه الفكرة حتى لا نلقى عواقب قد نكون في غنى عنها، وفي اليوم الثاني من إضرابنا عن الطعام طلب إلينا المسؤول عن إدارة السجن أن ننتظر المهلة القانونية للتوقيف والمحددة بستين يوماً لكننا رفضنا انتظار هذه المهلة واستمرينا في إضرابنا ليخبرنا في اليوم الثالث أن المحقق سيقوم بالنظر في مطالبنا وبالفعل قام أحد العناصر في مساء اليوم السادس من إضرابنا بالمناداة على أسمائنا (باستثناء واحد من زملائنا)وإخراجنا من الغرفة ليتم وضع القيود في أيدينا و "الطماشات" على أعيننا ومن ثم اقتيادنا إلى إيداع آخر درج على تسميته بإيداع العقوبات التابع إدارياً للمخابرات الجوية ومكانياً للفرقة الرابعة في الجيش، وهو المكان الذي أُخفيت فيه ثمانية أشهر قبل أن أنقل إلى سجن مدني.

## في "إيداع العقوبات" في الفرقة الرابعة، هل تعرضت للتعذيب أو المعاملة السيئة هناك؟ وهلاّ وصفت لنا شكل العقوبات التي يتعرض لها المختفون قسرياً في هذا المكان؟

ما زلت أذكر تاريخ هذا اليوم والطريقة التي قام بها عناصر من هذا المكان باستلامنا من العناصر التابعة لفرع التحقيق في المخابرات الجوية، كنت أحسب الأيام التي قضيتها داخل الزنزانة عن طريق اللصاقات التي يتم بها تغليف أكياس الخبز وكنت أُميز الليل من النهار من خلال مواعيد إدخال وجبات الطعام. فبعد كل وجبة إفطار كنت أُشكل من هذه اللصاقات أرقاماً تدل على الأيام التي تمرّ بنا ثم أقوم بلصقها على الجدار، ولكن بعد ليلة 19 آذار 2012 لم يعد بإمكاني حساب الأيام التي أصبحت متشابهة من ناحيتي الضغط النفسي والتعذيب الجسدي.

"خذوا هؤلاء المثقفين وقوموا بالتوصية اللازمة" هي العبارة التي لاتزال تحفر في رأسي إلى الآن عندما نطق بها أحد العناصر بعد تسلمينا للعناصر الجديدة، وبالفعل تبدل كل شيء بعدها. كانت "حفلة استقبال" رهيبة وطويلة لم يترك فيها العناصر نوعاً من أنواع الإساءة والتعذيب إلا ومارسوه، بدءاً بالشتائم والألفاظ اللاأخلاقية والتجريد من الملابس وصولاً إلى الركل والضرب بالهراوات والصعق بالعصا الكهربائية على جميع أنحاء جسمنا. لم يكن من غاية لهذا التعذيب إلا مجرد التعذيب والإهانة، فإجراءات التحقيق كانت قد انتهت ولكن بدلاً من إحالتنا إلى القضاء قاموا بإيداعنا في سجن سريّ لا يتوافر فيه أيّ من الشروط الصحية. "

وبعد أن انتهى العناصر من تسجيل بياناتنا لديهم كان لابد من وضعنا في غرفة الإيداع وهي غرفة تحت الأرض لا تتجاوز مساحتها الأربعين متراً مربعاً بقيت فيها حوالي ثمانية أشهر، غرفة فارغة من كل شيء إلا من المعتقلين الذين كان يتجاوز عددهم أحياناً المائة شخص. كان هناك درج طويل نوعاً ما يوصلنا إلى هذه الغرفة، لم أكن بحاجة إلى أن أنزل به على أقدامي حيث قام أحد العناصر بركلي لأجد نفسي أسفله في ثوانٍ.

لم أستطع من هول تلك اللحظات والصدمة التي رافقتها من تمييز مشاعري التي اختلطت عليّ حينها، كنت لازلت مجرداً من ملابسي وكانت العصبة تغطي عينيّ، ولكن بعد أن أغلق العناصر باب الغرفة وخرجوا وقفت مدهوشاً أمام مجموعة من المعتقلين الذين أبدوا تعاطفاً كبيراً معنا محاولين تهدئتنا، فبعد أن رفع أحدهم الطماشة عن عيني قائلاً لي أنني الآن بخير سألته أين أنا؟ لكنه لم يجبني على الفور بل بادلني هو وأشخاص آخرين بأسئلة كثيرة من قبيل الأحداث التي تجري خارج الغرفة وأحوال البلاد والأخبار التي نحملها وغيرها الكثير. كان يبدو كما لو أن دهراً مرّ عليهم في هذا المكان، فثيابهم الرثة وشعرهم الأغبر ولحاهم الطويلة تدل على أن أشهراً طويلة مضت على تواجدهم، وبالفعل علمت لاحقاً أن هذا المكان أشبه بمكان للمنسيين حيث لم يكن ليدخل إليه أو يخرج منه أحد إلا بالصدفة.

## كسر الإضراب والبرتقال!

بعد نحو ساعتين أو أكثر من إدخالنا الغرفة جاء أحد العناصر ونادى على رئيس الغرفة "الشاويش" وأعطاه صندوقاً صغيراً من البرتقال وأمره أن يطعمنا إياه كما طلب إليه أن يخبرنا بالتعليمات الخاصة بهذا المكان والتي يجب أن نلتزم بها حتى نبقى على قيد الحياة، كنّا إلى وقتها لانزال مضربين عن الطعام لكن ما حدث معنا جعلنا ندرك أن إضرابنا لن يثمر عن تحقيق مطالبنا وأن النتائج المتوقعة من استمرارنا فيه قد تودي بحياتنا، وبالفعل بعد أن تناولنا طعامنا تلا علينا رئيس الغرفة مجموعة من التوصيات التي لا تهدف بمحصلتها إلا إلى الإذلال والإهانة، كنا ملزمين في كل مرة يدخل فيها العناصر علينا أن نتوجه مسرعين لننحشر جميعاً في الزاوية الداخلية للغرفة والتي لا تتجاوز مساحتها ثمانية أمتار مربعة متخذين وضعية "جاثية" ووجوهنا مدارة نحو الحائط بعد أن ننزل "الطماشة" على أعيننا وأن نبقى على هذه الحال حتى خروجهم، كان يمنع تماماً النظر إلى سجانينا وكان لزاماً أن تظل "الطماشة" على أعيننا طوال الوقت (كنا نرفعها قليلاً عندما لا يتواجد أحد من العناصر)، كنا نعلم بقدومهم من خلال الصوت الغليظ الذي تصدره العصا الكهربائية حيث كان العناصر يستخدمونها كنوع من الإنذار المسبق لنزولهم إلينا، والمؤلم أن استجابتنا لهذه الحالة شكلت مع الوقت شيئاً شبيهاً بالاستجابة الشرطية التي توصل إليها "بافلوف" في تجربته، فأحياناً كان العناصر يصدرون هذا الصوت من مكاتبهم دون النزول إلينا لكننا كنا في كل مرة نسمع فيها صوت العصا نتخذ نفس الوضعية التي قد نبقى فيها لساعات توجساً من نزولهم المفاجئ. كانت الحياة اليومية في هذا المكان روتينية من حيث الضرب والتعذيب، ونادراً ما كان يمرّ علينا يوم لا نلقى فيه شكلاً من أشكاله، خاصة عندما يحضرون لنا وجبات الطعام، وهنا العناصر لا تتقصد اختيار الأشخاص لتعذيبهم بل يكون الركل والضرب بالعصي والهراوات والصعق بالكهرباء عشوائياً يطال كل من يقع تحت أيديهم وبخاصة الصفوف الأخيرة، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود "حفلات استثنائية" لأشخاص بعينهم.

## ماذا تعني "بالحفلات الاستثنائية"؟! وهل تعرضت لأيّ منها؟

عادة لا يكون السجّان على معرفة بالضحية التي يقوم بتعذيبها، إن لديه فكرة ثابتة مفادها بأن المعتقلين هم أشخاص خطيرون وبأنهم قد يشكلون تهديداً لوجوده ضمن الجماعة التي ينتمي إليها، لذلك يقوم بتعذيب فئة محددة بهدف جعل الآخرين يخافون ويذعنون لمنطق القوة، ولكن إن حدث وأن استقصد السجّان معتقلاً بعينه فغالباً ما يعني ذلك تحول حياته داخل المعتقل إلى جحيم. لقد كان لدخولنا هذا المكان باعتبارنا "مثقفين" بعض الأثر في ذلك، فعلى مدى أسبوعين متتاليين كنا نتعرض بشكل خاص لتعذيب مختلف، حيث كان العناصر وبعد انتهائهم من التعذيب الجماعي يطلبون منا نحن الوافدون الجدد أن نقف بعيداً عن البقية ليقوموا بمزيد من الإهانة والضرب والتعذيب لنا.

كانوا يتقصدون بشكل خاص زميلنا الطبيب "أيهم غزول" فقط لأنه طبيب، لم نكن لنرى سجانيّنا أبداً بسبب مصاحبة "الطماشة" الدائم لنا لكنني لازلت أذكر ذلك الصوت الرخم الذي كان يبدأ به السجان مناداته لأيهم قبل أن يتفنن في تعذيبه، كان يقف خلفنا مباشرة وينادي بلهجة متهكمة "دكتووور...دكتووور...وينك يا دكتووور" ليبدأ بعدها بصعقه بالعصا الكهربائية.

**"أذكر أيضاً أسوء الأيام التي تعرضت فيها للتعذيب، والتي كدت أن أفقد حياتي على إثرها لولا اهتمام بعض الأشخاص ومتابعتهم لحالتي الصحية، وهو اليوم الذي تعرفت من بعده على المعنى الحقيقي لكلمة "عواينية" الدارجة الاستخدام في سوريا. ففي ظل ظروف مشابهة للحالة السورية قد يحذر الشخص وهو خارج المعتقل أثناء نشاطه أو تعبيراته عن آرائه خشية من الاعتقال، ولكن ما الذي يمكن أن يخشاه طالما أنه أصبح معتقلاً؟"**

لقد كان من الطبيعي حينها الاعتقاد أن المعتقل هو المكان "الأكثر أماناً" للحديث في بعض القضايا العامة وأحوال البلاد طالما أن من المفترض بأن قاسماً مشتركاً واحداً يجمعنا جميعاً داخله. ولكن ما حدث أن نادى أحد الحراس في إحدى الأيام على شخص متواجد بيننا كان قد عرّف عن نفسه بأنه اعتقل بسبب انشقاقه عن الجيش النظامي وانضمامه لعناصر الجيش الحر كان يجلس معنا دائماً ليستمع إلى حواراتنا، ويبدو أنه كان كاذباً في ذلك إذ لم يعد بعدها بل عاد السجّان وحيداً ومعه قائمة بعدة أسماء (تحديداً أنا وثلاثة من زملائي) تلاها علينا طالباً منا الخروج مترافقاً مع سيل هائل من الشتائم اللفظية. أدركت مباشرة حجم الكارثة المنتظرة، وفعلاً حصل ما توقعته وأكثر خاصة عندما أظهرت نوعاً من الرفض للإذعان لأوامره. كل ما أذكره حينها أن مجموعة من الأشخاص انهالت عليّ بالضرب المبرح خارج الغرفة وكنت مجرداً من ملابسي، لا أذكر عددهم ولكن أذكر أني كنت مثبتاً على الأرض بأقدامهم كما أتذكر صراخي من آلام الضرب بالهراوات والصعق بالعصا الكهربائية التي لم تترك مكاناً من جسمي بالأخص عندما كانت تقترب من شحمة أذني. فقدت الوعي بعد دقائق لأجد نفسي بعدها داخل الغرفة محمولاً من زملائي وكان أحد الأشخاص قد سارع لغسل جسمي بالماء البارد إذ كانت معظم أنحائه قد تبدل لونها للأسود والبنفسجي الغامق، لقد كانت الدماء تسيل من ظهري بسبب بعض الجروح التي تقرحت لاحقاً مسببة لي حمىّ داخلية جعلتني في عالم شبيه بحياة البرزخ لأيام عدة...

كان ذلك اليوم من أشدّ الأيام تعذيباً وإيلاماً والذي أعتقد أني نجوت منه بأعجوبة، أما المضحك المبكي أن أحد السجّانة الذي يبدو أنه لم يكن حاضراً يومها سألني بعد أيام عن سبب الجروح التي شاهدها صدفة على جسمي. وفي الحقيقة لم أجرؤ حينها على القول بأن من خلف هذه الجروح هم سجّانو هذا المكان خشية أن ألقى مصيراً انتقامياً أسوء.

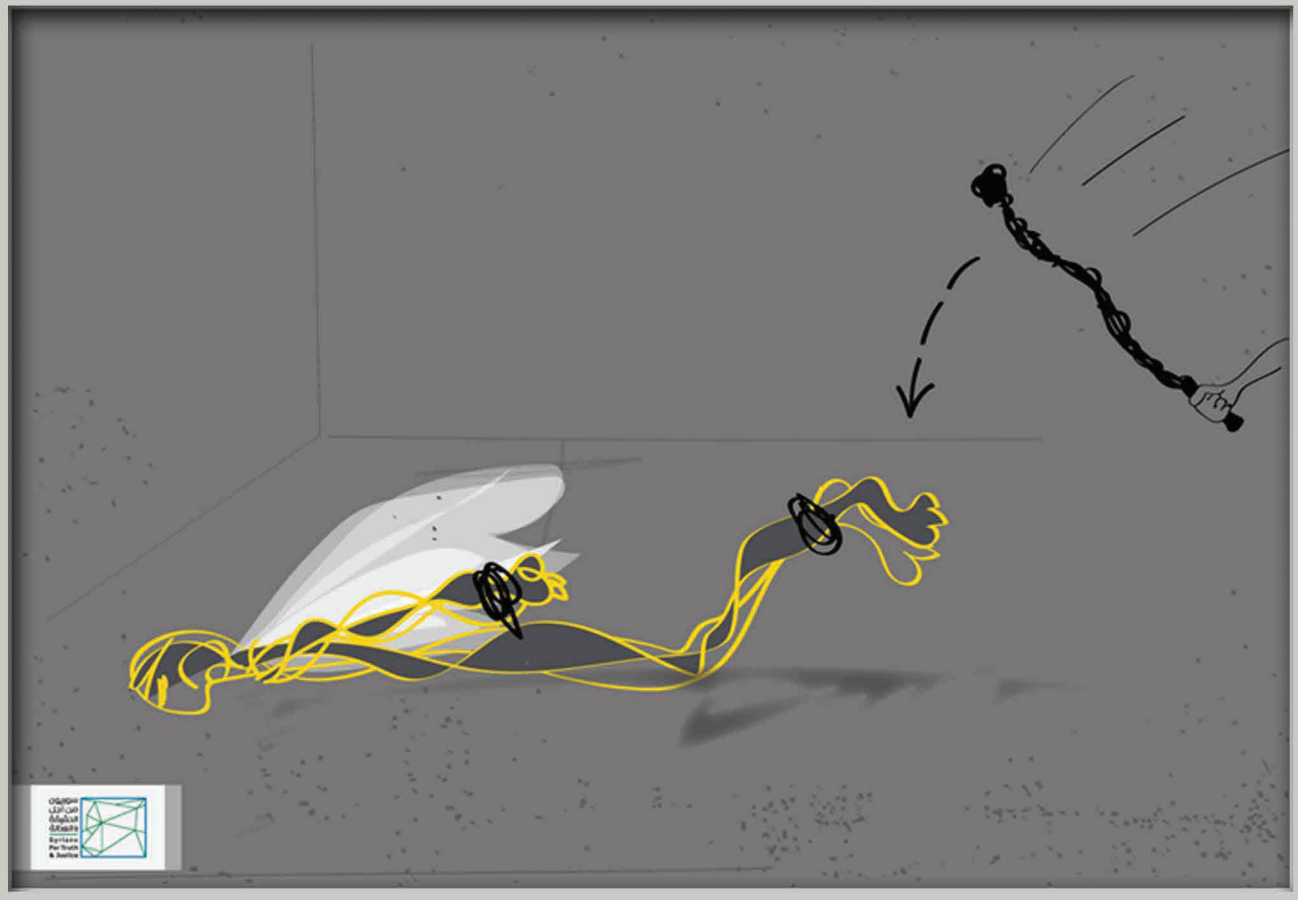

تسمّى هذه الطريقة أحياناً (بساط الريح) وهي تختلف عن طريقة بساط الريح المعتادة، تلك التي يتمّ ربط المعتقل فيها إلى خشبتين متحركتين قبل بدء عملية الضرب التي تشبه ما يسمّى باللغة العامية "طريقة الفلقة". ولا يقتصر الضرب في هذه الطريقة على القدمين حيث يكون هنالك عادة عدّة عناصر تشارك في هذه العملية بالضرب بشكل عشوائي على أجساد المعتقلين.

**أعتذر إن جعلتك تستدعي بذاكرتك حوادث مؤلمة ولكن هل لك أن تصف لنا صوراً أخرى من أشكال الحياة اليومية للمختفين قسراً داخل هذا المكان؟ مثلاً، كيف تأكلون؟ كيف تنامون؟ كيف كنتم تقضون أوقاتكم؟...**

"غريزة البقاء" هي العنوان الأمثل للتعبير عن الأسباب التي قد تدفع أي شخص للبحث عن كافة الوسائل التي تمكنه من الاستمرار على قيد الحياة داخل هذا المكان، فمن أجل اتقاء حرّ الصيف كنا نلجأ إلى استخدام ثيابنا كبديل عن "المراوح" لتوليد الهواء إذ كان يتناوب مجموعة من الأشخاص على التلويح بقطع من الثياب لتبريد أجواء الغرفة، وفي أيام البرد القارس غالباً ما كنا نلجأ للتجمع في زوايا الغرفة مجموعات متلاصقة لنستفيد من الحرارة التي تولدها أجسادنا.

كنا نأكل أحياناً قشور البيض والبرتقال لنحصل على بعض العناصر المفيدة لجسمنا، كان بعضنا يلجأ لاستبدال بعض أصناف الطعام القليلة أصلاً بغيرها ليعوض النقص في السعرات الحرارية التي يتطلبها الجسم من الغذاء، وكان آخرون يلجؤون "للصيام" يوماً والإفطار في اليوم الآخر بحيث يعطي الصائم إفطاره الصباحي للشخص الذي سيقوم بالمقابل في الصيام في اليوم الثاني على أن يقوم هو بالمثل، وهكذا حتى يتشكل وجبة إفطار تقي التعرض للتجويع المنهج الممارس علينا في هذا المكان.

كانت المساحة لا تسمح ليلاً لكي ينام الجميع فكنا نتناوب على النوم بحيث يتبادل شخصان النوم والوقوف أحدهما يقف ليولد الهواء للشخص النائم بشكل متكور طبعاً ضمن المساحة المخصصة له والتي كنا نقيسها بعدد " البلاطات" على أن يقوم الآخر بالمثل عند إيقاظه. كان الحيز المكاني المخصص لكل شخص أثناء النوم لا يتجاوز "البلاطة" الواحدة عرضاً والتي تبلغ مساحتها 20 سنتيمتراً مربعاً، وغالباً ما كنا نتناوب الوقوف والجلوس لنحصل على الراحة المؤقتة التي نحتاجها للاستمرار أحياء.

كان يوم الشؤوم لنا هو يوم الأربعاء الذي حدده السجّانة يوماً لتنظيف الغرفة، حيث كانوا يجمعوننا جميعاً في حيز لا تزيد مساحته عن ستة أمتار مربعة ويبدؤون بتعذيبنا تعذيباً جماعياً ريثما ينتهي تنظيف الغرفة. ومع الأيام اهترت ثيابنا بحيث لم يبق منها إلا القطعة الداخلية التي كنا نجهد دائماً لإبقائها في حالة صالحة، كان "القمل" مرافقاً دائماً وكان يتوجب علينا في كل صباح أن نفتش في أجسادنا وبين ثيابنا عن بيوضه حتى لا تتكاثر بيننا وتسبب لنا أمراضاً جلدية نحن بغنى عنها. كانوا لا يسمحون لنا بالاستحمام إلا مرة بالأسبوع وغالباً بالمياه الباردة وبمنظفات لا تكفينا، وكنا لا ندخل لقضاء حاجتنا إلا بعد أن نأخذ من "الشاويش" رقماً يسمح لنا بالدخول إلى الحمام المكشوف على الجميع. وفي كل مساء لا بد أن يتعرض بعض منا لعقوبات تخضع لمزاجية العناصر الراغبة بالتسلية، حيث يطلب من "الشاويش" إخراج عدد من المعتقلين لتأديبهم بحجة الصوت المرتفع وإزعاجهم أثناء النهار...

كانت أياماً نواجه فيها في كل لحظة مصيراً قاتماً حول المجهول من قادم الأيام، ومع ذلك كنا نجد كلما سنحت لنا الفرصة طريقة نمتص فيها الضغوط النفسية التي كنا نتعرض لها، غالباً عبر أساليب تعليمية أو ترفيهية. فمثلاً لازلت أذكر تلك الطريقة الطريفة التي صنعت منها قلماً ولوحاً لتعليم الأميين القراءة والكتابة، فذات يوم كان من بين الوجبات المقدمة لنا قطع من الدجاج وقد حصل أن وجدت فيها على "عظمة" قمت بحفّ رأسها وبريها على الحائط الخشن لتأخذ شكل قلم كما قمت بتغيير قطعة من الثياب الخشنة الداكنة اللون وجعلها متسخة من خلال غبار الحائط ومن ثم طيّها لأتمكن من رسم الحروف والكلمات عليها وبذلك استطعت إيجاد وسيلة تعليمية مبتدئة، كذلك تمكنا من خلال بقايا الصابون من صناعة لعبة ترفيهية تدعى "الضامة" حيث كنا نرسم رقعة شبيهة برقعة الشطرنج على قطعة قماشية باستخدام الصابون ونستخدم بعض قشور البرتقال وحبات الزيتون كأحجار للعب، وكنا دائماً ما نبحث عن برامج للتعليم والترفيه داخل هذا المكان حتى لو تطلب ذلك تعرضنا لمخاطر محتملة الوقوع.

استمرت تلك الحالة حتى جاء يوم قام في صباحه أحد العناصر بالنداء على اسمي أنا وزميليّ "منصور العمري" و "عبد الرحمن حمادة"، وهما الزميلان اللذان رافقاني طيلة تلك الفترة بعد أن أفرج في وقت سابق عن زملائي الآخرين "أيهم غزول" و"جوان فرسو" و"بسام الأحمد".

والذين كان لهم جميعاً نصيب من هذه المعاناة، كان ذلك بتاريخ 14 تشرين الثاني 2012وهو التاريخ الذي تم تسليمي فيه أنا وزميليّ إلى مقر الشرطة العسكرية في منطقة القابون بدمشق. وهناك التقينا بزميلين أخرين هما "مازن درويش" و"حسين غرير" اللذين كان لهما أيضاً رحلة اعتقال مشابهة.

## إذن، وصلت إلى مقرّ الشرطة العسكرية في القابون فهل يمكن القول بأنك أصبحت بوضع أكثر أماناً وأفضل من ناحية ظروف الاعتقال؟

عادة ما يكون إيداع المعتقل في مقر الشرطة العسكرية بمثابة مرحلة انتقالية إما لتحويله إلى القضاء العسكري أو لنقله إلى سجن آخر "مدني" كسجن عدرا المركزي أو "عسكري" كسجن صيدنايا، وفي الغالب لا يستمر بقاؤه فيه لأكثر من يومين. إلا أن وجودنا فيه استمر اثنا عشر يوماً ..

وبالطبع يفتقر هذا المكان إلى أدنى مقومات الشروط الصحية خاصة من ناحية الازدحام ولا يمكن حتى وصف الطريقة التي كنّا ننام أو نجلس فيها، ففي الغرفة التي تم وضعنا فيها كنّا قرابة سبعين شخصاً، نزيد أو نقل كل يوم بحسب الخارجين منها والوافدين إليها، في مساحة لا تتجاوز الثلاثين متراً مربعاً وفي اليومين الأخيرين تجاوز عددنا المائة. لم يكن هناك إمكانية للنوم ولا حتى لجلوس الجميع، كان سقف الغرفة منخفضاً ولم يكن فيها نوافذ للتهوية فكان العرق المتصبب من أجسادنا يتحول إلى بخار ليعلق على السقف ويعود إلينا على شاكلة حبات كحبات المطر. وفي تاريخ 26 تشرين الثاني 2012 أذاع أحد العناصر أسماءنا نحن الخمسة ووضعوا قيوداً نحاسية تدعى "الجامعة" في أيدينا نحن ومجموعة كبيرة من المعتقلين ثم مرروا "جنزيراً" طويلاً بين هذه القيود ووضعونا في حافلة تدعى "البراد" وهي شبيهة بالسيارة الخاصة بحفظ اللحوم لنجد أنفسنا أخيراً في سجن عدرا المركزي، أو "ميريديان السجون السورية" كما كان يحلو لبعض السجناء أن يسميه.

بالطبع يفتقر السجن الخاص بالشرطة العسكرية لكل المقومات الخاصة بالسجون ويمكن للمعتقل فيه أن يتعرض لأشكال كثيرة من الإساءات بما فيها الضرب، ولكن على الأقل تخلصت من تلك الضغوط النفسية التي رافقت تواجدي داخل الفرع الأمني والمرتبطة بالمصير المجهول، كما تخلصت من "الطماشة" التي عصبت عينيّ ومن الصوت المرهق للعصا الكهربائية.

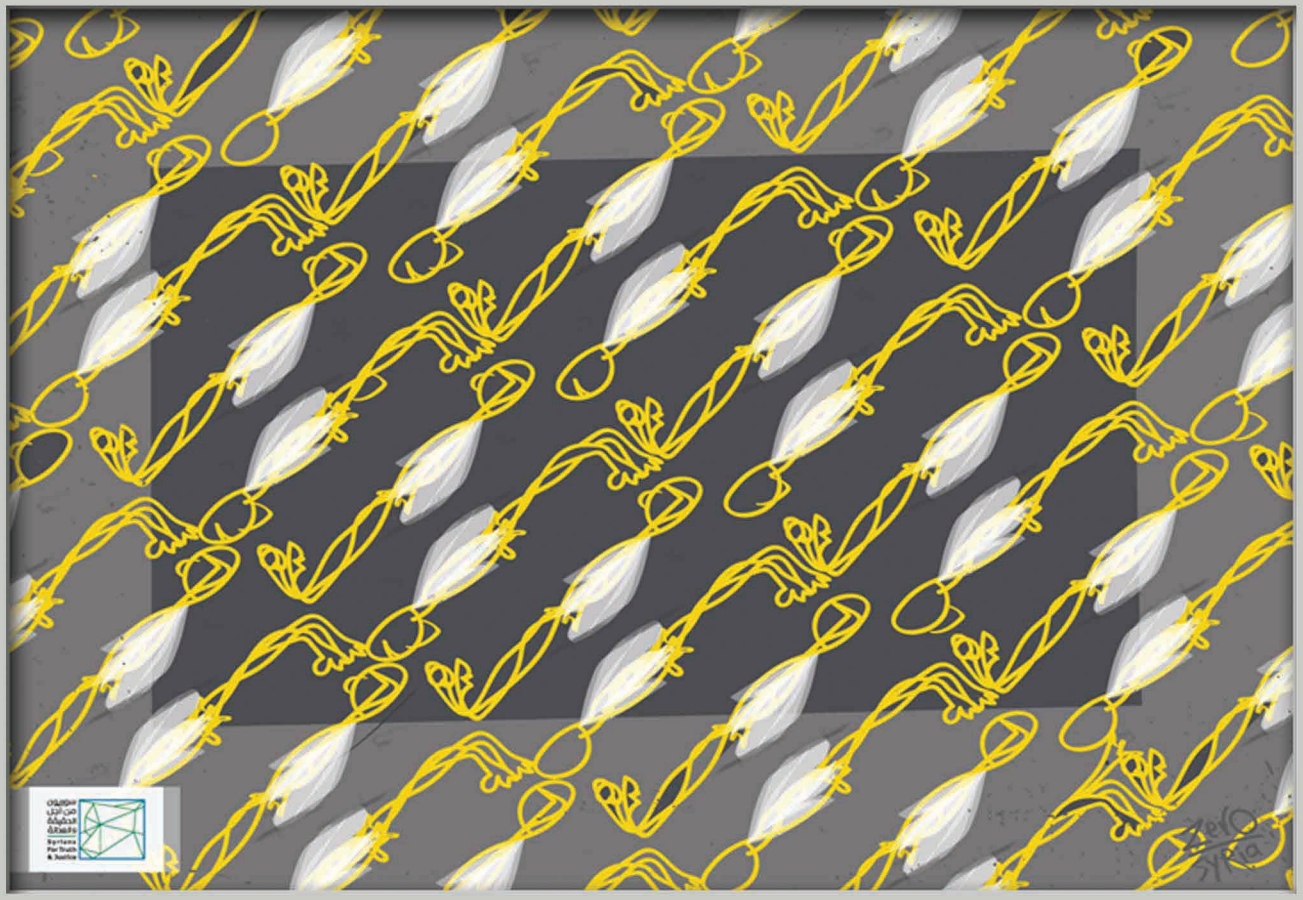

لوحة تعبيرية تحاكي طريقة النوم التي يتبعها المعتقلون نتيجة ازدحام مراكز الاحتجاز في سوريا عادة

## استمر اعتقالك داخل"سجن عدرا المركزي"نحو ثلاثة أعوام دون إصدار حكم قضائي، فكيف قضيت هذه المدة الطويلة من الاحتجاز التعسفي؟ وكيف كان سير الإجراءات القضائية المتخذة بحقك؟

في صباح 26 تشرين الثاني 2012 دخلت **سجن عدرا المركزي** بحالة يرثى لها وهي الحالة الطبيعية التي يدخل فيها أي معتقل قضى أشهراً طويلة داخل الأقبية الأمنية، لحية كثيفة وشعر وطويل وما تبقى من ثياب مهترئة مليئة بالقمل، لم أكن أقوى على حمل جسمي بسبب الجلوس أشهراً بدون حراك، كانت تفوح مني رائحة كريهة لم أكن لأميزها قبل أن أتعرض للهواء النقي، ولم أكن لأشعر بحساسية عالية في جسمي إلا بعد أن نظفته جيداً وعرضته للشمس. كانت العبارة الأولى التي أسمعها من أحد عناصر الشرطة "الحمد الله ع السلامة يا شباب أنكم وصلتم بخير"، كان وقع الجملة غريباً خاصة وأننيلم أكن لأسمع سوى الشتائم وعبارات التخوين.

كان يومي الأول في سجن عدرا طويلاً ومرهقاً ولم أتمكن من الدخول إلى الغرفة التي تم فرزي إليها إلا بعد منتصف الليل وذلك بسبب الأعداد الكثيرة للوافدين إلى السجن من مختلف الأفرع الأمنية والإجراءات الخاصة بتسجيل بياناتنا إضافة للأمور المتعلقة بالنظافة من حلق الشعر والاستحمام وتسليم الثياب الخاصة بالسجن. دخلتُ إلى الغرفة رقم (303) ولم أكن أعلم بعد ما ينتظرني قضائياً، كانت إمكانية استيعاب السجناء داخل كل غرفة 32 سجيناً بحسب عدد الأسرّة المخصصة لكل سجين، لكن الأعدادكانت تفوق ذلك بكثير، حتى أنها وصلت إلى نسبة تجاوزت ثلاثة أضعاف قدرتها الاستيعابية.

من المعروف أن سجن "عدرا" سجن مدني يحصل فيه السجين على بعض من الحقوق المتعلقة بمعاملة السجناء وبالأخص حقه في التواصل مع ذويه ومعارفه من خلال الاتصالات الهاتفية والزيارات الدورية، وعادة ما يكون المعتقل متشوقاً للاطمئنان عليهم وطمأنتهم عليه بعد فترة طويلة من الاختفاء ومعاركة المصير المجهول حوله من كلا الطرفين. لقد حمل لقائي الأول بهم شعوراً مسح كثيراً من الآلام التي تعرضت لها خاصة بعد مشاهدة الراحة البادية على وجوههم عندما تأكدوا أني ما زلت على قيد الحياة.

كان لي الحق أيضاً بتوكيل محام يتابع الإجراءات القضائية المتخذة بحقي، عندها علمت بأن الصفة التي أحملها داخل السجن هي "إيداع لصالح محكمة قضايا الإرهاب" وبأن هذه الصفة غير قانونية للاحتجاز طالما أنه لم يسطّر بحقي بعد مذكرة توقيف قضائية. لم أكن قد سمعت بهذه المحكمة التي استحدثت بعد اعتقالي بأشهر ولا بقانون مكافحة الإرهاب الذي علمت بأني سأحاكم وفق مواده فيما لو تم توقيفي، لكن كان الدارج حينها أن ينتظر المعتقل "المودع" لصالح هذه المحكمة دوره ريثما يعرض على أحد قضاة التحقيق وغالباً ما كانت تتجاوز هذه المدة أشهراً نتيجة الأعداد الكبيرة للمحالين إليها.انتظرت حتى تاريخ 5\2\2013 وهو تاريخ عرضي على قاضي التحقيق الأول في محكمة قضايا الإرهاب، وكان الدارج حينها أيضاً أن أغلب المعروضين على هذه المحكمة يتم إخلاء سبيلهم لعدم كفاية الأدلة بعد أن ينكر المعتقل أمام القاضي الأقوال المنسوبة إليه ويعترف بأنها انتزعت منه تحت الضرب والتعذيب، قبل أن تتمنع المحكمة لاحقاً عن الإفراج عن أغلب الموقوفين لصالحها حتى مع اعترافاتهم تلك ودون وجود لأي أدلة حسية مقترنة بالتهم المنسوبة إليهم.

لقد اعتبر قاضي التحقيق أن متابعتي لواقع الإعلام السوري ورصدي للانتهاكات الواقعة بحق الإعلاميين وتوثيق حالات الأذية الجسدية للمخلى سبيلهم ومن ثم إعداد دراسات إحصائية بهذا الصدد ونشرها على الموقع الالكتروني الخاص بالمركز من شأنه أن يؤجج الأوضاع الداخلية أكثر ويثير حفيظة المنظمات لاتخاذ قرارات إدانة لسوريا في المحافل الدولية، وهي التهمة التي صاغها القاضي في قرار إحالته لاحقاً بعد أن اعتبر ذلك ترويجاً للأعمال الإرهابية.

وبالفعل أصدر قاضي التحقيق فوراً مذكرة توقيف بحقي أنا وزميليّ "مازن درويش" و"حسين غرير" بعد أن أخلى سبيل زميلين آخرين هما "منصور العمري" و"عبد الرحمن حمادة" على أن يحضرا معنا أدوار المحكمة من خارج السجن. وبعد عشرين يوماً من توقيفنا نحن الثلاثة تمت إحالتنا إلى قاضي الجنايات التابع لمحكمة قضايا الإرهاب بالتهمة ذاتها "جرم الترويج للأعمال الإرهابية وفقاً للمادة 8 من قانون مكافحة الإرهاب"وقد حدد لنا أول جلسة من جلسات المحكمة بتاريخ 2013\3\10.

بعد أشهر من تواجدي داخل سجن عدرا بدأ أملي بالخروج منه يتضاءل شيئاً فشيئاً خاصة بعد المماطلات والمدد الطويلة بين الجلسات التي كان يحددها قاضي الجنايات، إضافة إلى الأحكام الجائرة الصادرة بحق الكثير من الموقوفين لصالح هذه المحكمة والنسب الضئيلة للمخلى سبيلهم منها. كان لا بد لي من إيجاد حياة تلائم واقعي الجديد داخل أسوار السجن والعيش ضمن مقتضياته حتى لا أفقد ما تبقى من أمل، فجهدت على تنظيم حياتي وفق مثل شائع التداول في عدرا "اعمل لإخلاء سبيلك كأنك تخرج غداً واعمل لسجنك كأنك تعيش فيه أبداً". فكان أن أنشأت لنفسي نوعاً من التقبل يتناسب مع خشونة العيش في هذا المكان، توجهت لتدريس مواد الفلسفة والعلوم الاجتماعية للطلاب الذين ارتادوا المدرسة الخاصة بالسجن وأنشأت مكتبة خاصة بهدف تحفيز المهتمين من السجناء على القراءة، كما أقمت نوعاً من العلاقات الاجتماعية يسمح لي بتبادل المعارف وإجراء حوارات تفاعلية ذات طابع اجتماعي ونفسي،إضافة إلى اهتمامي بالطبخ وممارسة الألعاب الرياضية.

## قبل إخلاء سبيلك بأشهر سمعنا بأنه تم نقلك إلى سجن آخر ومن ثم اقتيادك مرة أخرى إلى إحدى الأفرع الأمنية، فماهي الأسباب وراء ذلك؟ وهل تعرضت مجدداً للتعذيب؟

لم يعد سجن عدرا ذلك المكان المخصص لمعاقبة أو اصلاح الأشخاص المتهمين بقضايا جنائية والذين باتت نسبتهم ضئيلة جداً مقارنة بالنسب العالية للموقوفين على خلفية ما يحدث في سوريا، وضمن هؤلاء هناك الشاعر والفنان والطبيب والمدرس والعديد من الأشخاص الذين شكلت معهم نوعاً من الحياة المشتركة المقبولة والمثمرة أحياناً. كان من الصعب أن يتم سلخي فجأة عن أولئك الأشخاص ونقلي إلى مكان آخر قد أحتاج معه أشهراً لأعيد بناء حياة جديدة فيه. وما حدث أنه وبتاريخ 4 شباط 2015 دخل إلى الغرفة ليلاً أحد ضباط السجن ونادى على اسمي ثم طلب مني أن أخرج مسرعاً من الغرفة، أدركت مباشرة أنه سيتم نقلي إلى سجن فرعي وبالطبع لم يكن ذلك مستقصداً لشخصي بل كان يتم نقل أعداد عشوائية إلى سجون متعددة ربما للتخفيف من الأعداد المهوولة داخل السجن وربما لدواع أخرى خاصة بإدارة السجن. والمهم أن تلك الفترة كانت عصية على الجميع فلا أحد كان يرغب بتغيير مكانه والأشخاص الذين شكل معهم حياة أقرب إلى الحياة الأسرية إلا طبعاً إذا تم إطلاق سراحه وعاد إلى أهله وأحبابه.

من المفترض أن تكون السجون الفرعية أيضاً سجوناً مدنية يتمتع فيها السجين بحقوقه كاملة وأن يعامل فيها معاملة تتوافق مع المعايير المتفق عليها دولياً، ولكن الذي حدث معي أنه وفي صباح هذا اليوم وبعد أن تم "تسفيري" إلى سجن السويداء المركزي قام ضباط وعناصر هذا السجن بإهانتنا وضربنا فور وصولنا مباشرة ومن ثم تفتيش أغراضنا ومصادرة بعضها وبخاصة منها الأغطية ومذكراتنا الشخصية، حتى أن أحدهم تهكم بالقول بألا نعتبر هذا المكان سجناً مدنياً، وبالفعل كان هذا السجن – وخلال تلك الفترة القصيرة التي قضيتها فيه – أقرب ليكون ملكاً شخصياً لضباط السجن وخاصة من ناحيتي الفساد الإداري والابتزاز المالي، فإذا أراد السجين أن يحصل على بعض من حقوقه أوأن يأمن من العواقب المتوقعة الحدوث دائماً كان يتوجب عليه دفع أموال للضباط أشبه نوعاً ما "بالأتاوات".

أما أسوء ما يمكن أن يتعرض له سجين اعتاد حياة السجون المدنية أن تتم إعادته إلى الأفرع الأمنية مجدداً، عندها لابد أن تتخلله هواجس مخيفة خاصة من ناحية الشعور بالتهديد المباشر على حياته. فالسجين يأمل في كل يوم أن تتم إذاعة اسمه ليطلق سراحه، ولا يتوقع أبداً أن ينادى عليه ليتم تكبيل يديه وعصب عينيه واقتياده إلى مكان مجهول.

لقد شهدت خلال الأشهر الأخيرة من اعتقالي تنقلات عدة، فبعد نحو شهرين من نقلي إلى سجن السويداء تم استدعائي لحضور جلسة محاكمة في دمشق وعادة ما يتم إيداعنا في غرفة خارج سجن عدرا ريثما نتمكن من المثول أمام القضاء، كانت ظروف هذه الغرفة قاسية نوعاً ما بسبب الازدحام وعدم وجود فترات تنفس يومية وقد استمر وجودي فيها فترة طويلة بسبب التأجيلات المتكررة لجلسة المحاكمة إلى أن جاء أحد العناصر بتاريخ 6 أيار 2015 وطلب مني أنا وزميلي "مازن درويش" الاستعداد للذهاب للمحكمة، أدركنا مباشرة أن خطباً ما سوف يحدث وذلك بسبب أن هذا اليوم يصادف عطلة رسمية في سوريا ولا وجود لدوام في أي من الدوائر أو المؤسسات الحكومية بما فيها المحاكم، وبالفعل حال خروجنا من الغرفة استقبلتنا دورية تابعة لإدارة المخابرات العامة واقتادتنا مع زميلنا "حسين غرير" إلى مقرها مكبلين ومعصوبي العيون.

فور وصولنا وضعونا ثلاثتنا في "منفردة" معتمة لا يتجاوز طولها 120 سم وعرضها المتر الواحد، وغالباً ما كنا ننام فيها جالسين ومتكئين على الحائط. لم نستطع أن نتبين الغاية من وجودنا في هذا المكان فلم يكن هناك من تحقيق يهدف للحصول على معلومات جديدة سوى جلسة تحقيق "شكلية" أراد بها المحقق إعلامنا بأننا أخطأنا وأنه يتوجب علينا أن ندفع ثمن تلك التي يراها أخطاء. استمر بقاؤنا على هذه الحال مدة "45" يوماً تعرضنا فيها للعقوبات الجسدية المتعددة من ضربنا بالعصي والأكبال على أقدامنا (الدولاب) وإبقائنا يومين كاملين واقفين بجوار الحائط ومجردين من كافة ثيابنا مع حرماننا من الماء والطعام وما يرافق ذلك من إهانات وغيرها من ضروب الإذلال المرتبطة باستيقاظنا ونومنا المرهون بقرار العناصر والخروج إلى الحمامات وقضاء حوائجنا الخاضع أيضاً إلى مزاجية بعضهم، إضافة إلى الضغط النفسي الشديد المتعلق بمصير جلسات المحاكمة خاصة وأن أحد العناصر كان قد أخبرنا بعد نحو أسبوعين أن القاضي حكم علينا بالسجن مدة ثلاثة عشر عاماً وبأننا سوف نقضي أغلبها في هذا المكان لنتبين لاحقاً زيف تلك الأخبار.

يمكن القول بأن هذه الأيام كانت الأشد قسوة علينا وإن حاولنا ثلاثتنا التعامل معها بشيء من الحكمة، وبعد مرور تلك الأيام وما حملته معها أعادتنا دورية تابعة للفرع إلى سجن عدرا المركزي وهو المكان الذي أخذتنا منه، لأعود بعد أسبوع آخر إلى سجن السويداء دون حضور لأي جلسة محاكمة أو أي قرار قضائي.

وبتاريخ 15 تموز 2015 وتحديداً منتصف الليل سمعت صوتاً من خارج الغرفة يقول:

"هاني الزيتاني... إخلاء سبيل"

لم أصدق بداية ولكن عندما خرجت وجدت واحداً من عناصر شرطة السجن واقفاً على باب الغرفة، سألني عن اسمي ثم فتح لي الباب وطلب مني الخروج لاستلام هويتي الشخصية وأغراضي الأخرى والتوقيع على حضور جلسةكانت مقررة بتاريخ 30 آب 2015 لأجد نفسي بعد نحو ثلاثة أعوام ونصف وأكثر من 20 جلسة للمحاكمة خارج سور السجن حراً طليقاً.

سوريون من أجل الحقيقة والعدالة - مدينة غازي عنتاب التركية
30 نيسان2016